الفصل الرابع

الوضع فى السنة ومقاومة العلماء له
الوضع فى الحديث ... ومقاومته

لم يشع الكذب فى عهد الرسول ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين من بعده، وما كان بينهم من خلاف فقهى، فلا يتعدى اختلاف وجهة النظر في أمور الدين.

أخرج البيهقى أن أنسا حدث بحديث، فقال له رجل: «أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم أو حدثنى من لم يكذب، والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب».

وكان الكذب فى عهد كبار التابعين أقل منه فى عهد صغارهم، لوجود الصحابة وكبار التابعين، ولما كانوا عليه من الورع والتدين، ولأن الخلاف السياسى كان فى أول عهدهم بسيطاً.. كل ذلك كان سبباً فى تضييق بواعث الوضع والحد من الكذب.

ولما كان الشيعة هم أول من تجرأ على ذلك فيمكننا الحكم: بأن أول بيئة نشأ الوضع فيها هى: العراق وكان الإمام مالك رضى الله عنه يسمى العراق «دار الضرب» أى تضرب فيها لأحاديث، كما تضرب الدراهم.

ويقول: نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أهل الكتاب، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقال له عبد الرحمن بن مهدى: يا أبا عبد الله، سمعنا فى بلدكم - المدينة - أربعمائة حديث فى أربعين يوما، ونحن بالعراق، نسمع هذا كله فى يوم واحد.

فقال له: يا عبد الرحمن، من أين لنار دار الضرب التى عندكم؟ تضربون بالليل، وتنفقون بالنهار. وقال ابن شهاب: يخرج الحديث من عندنا شبرا، فيعود فى العراق ذراعا، وذلك لبعد العراق عن الحجاز، ولوجود أخلاط المسلمين، من مختلف الأمم، وظهور المذاهب المختلفة فى العراق: من معتزلة، ومرجئة، وأصناف من المتكلمين.. وكل صنف من هؤلاء، يؤيد رأيه بتأويل آيات القرآن واختلاق الحديث.

أسباب الوضع فى الحديث

١ - التعصب السياسى:

كان للأحداث السياسية أثرها فى انقسام المسلمين شيعاً وأحزابا، وسبب هذا الانقسام قيام المذاهب الدينية التى حاول أصحابها تأييد موقفهم بالقرآن والسنة. فتأول بعضهم القرآن على غير وجهه السليم، وحملوا السنة ما لا تتحمله.

وقد عجزوا عن الوضع فى القرآن، لأنه ثبت بالتواتر المفيد لليقين والقطع، ولتوفر المسلمين على حفظه وتلاوته، فقد تكفل الله تعالى بحفظه.

فوجهوا عداوتهم إلى الوضع فى الحديث، لتأييد ما يدعون، فخلطوا الصحيح بغيره ووضعوا أحاديث فى فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم.

وبهذا الوضع انغمست الفرق السياسية فى حمأة الكذب والوضع.. وكانت الرافضة أكثر الفرق كذبا.

يقول ابن تيمية: «وكذب الرافضة مما يضرب به المثل» وسئل مالك عن الرافضة؟ فقال: «لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون» (١).

وقال حماد بن مسلم: حدثنى شيخ لهم قال: «كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً» (٢).

وقد أسرف الرافضة فى وضع الأحاديث فى فضائل على وآل بيته، بجرأة بالغة، وذلك: لأن أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الإسلامى.

وأما الشيعة: فقد كثر الوضع منهم، وصنعوا بعض الأحبار التى تنال من

---

(١) منهاج السنة جـ ١، ص ١٣.

(٢) منهاج السنة جـ ١، ص ١٣.

أبى بكر الصديق، وعمر، زاعمين أنهما أساءا إلى «على»، ومن الأخبار التى وضعوها: «وحيى وموضع سرى وخليفتى فى أهلى وخير من أخلف بعدى على»[1].

وحين وجد أهل الأحزاب الأخرى أن ما وضعه الشيعة ينقص من أبى بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، هب بعض الوضاعين من أحزابهم بوضع ما يقابل هذا من أحاديث ترفع من شأنهم، من ذلك:

«ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين».

كما وضع المتعصبون لمعاوية والأمويين أخباراً كثيرة كما فعل الذين أيدوا العباسيين.

ولما رأى بعض الذين حسنت نياتهم، من طعن وتجريح فى حق الصحابة، دفعهم حبهم للصحابة، أن يضعوا أحاديث فى فضلهم، ليبينوا بها أنهم جميعاً خيار، ولا فرق بينهم وظنوا أنهم بهذا العمل يقدمون خيرا.. وفاتهم أنهم قد ارتكبوا منكراً، بكذبهم على الرسول ﷺ.

وكان الشيعة منهم: المعتدلون، الذين يرون أفضلية على وأولويته بالخلافة، وهم مسلمون مخلصون.. ومنهم: الغلاة، الذين تظاهروا بالمحبة لآل البيت وهم بعيدون عن الإسلام.

وكان هدفهم أن يدخلوا ما معهم من مبادىء اليهودية والنصرانية والزرادشتية فى الإسلام، ليشوهوا معالمه وعقيدته.

وكان من هؤلاء طائفة تعتقد أن جبريل أخطأ فى النزول بالرسالة على محمد، وهى لعلى. وطائفة تقول بألوهية على، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ. ولقد أعلن على براءته منهم.. وأطلق المؤرخون على هؤلاء اسم «غلاة الشيعة».

---

(١) اللآلىء المصنوعة جـ ١ ص ١٨٥.

ولما كانت آراؤهم الهدامة لا مجال لها فى النفوس، ألبسوها ثياباً مصطنعة، وتقنعوا بالدين.. فلجأ أهل الزيغ منهم - تأييدا لآرائهم الزائفة - إلى الوضع فى السنة فأساءوا إلى الحديث النبوى، وإلى الإسلام عامة.

٢ - التعصب العنصرى:

ومن أسباب الوضع أيضاً: التعصب العنصرى، وقد ظهر عندما ظهرت - قديما - على ألسنة بعض العامة فكرة تفضيل العجم على العرب، وهى التى تعرف بالشعوبية، وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة أن الخلفاء العباسيين لم يتعصبوا للعربية فانتهز الشعوبيون الفرصة فى محاربة العرب، ووضعوا أحاديث فى فضل الفرس وبلدانهم وعلمائهم، والحط من قيمة العرب، ومن ذلك ما وضعوه فى فضل أبى حنيفة النعمان لأنه من أصل فارسى، وذم الشافعى لأنه عربى.

وقد بلغ بهم التعصب مبلغاً كبيراً، أدى بهم إلى الإلحاد فى الدين، والتحلل من أحكامه. وأما أحاديثهم الموضوعة: فلم تكن بخافية على العلماء وأئمة الحديث الذين تتبعوها، وكشفوا زيفها وميزوا بين الصحيح وغيره.

٣ - الزندقة:

تطلق الزندقة: على اتباع دين المجوس مع التظاهر بالإسلام، وقد اتسع إطلاق الزندقة، فصارت تطلق على الملحدين الذين لا دين لهم، كما أطلقت أيضاً على الإباحيين الذين يتبجحون بالقول فيما يمس الدين.

وكان الطريق الذى سلكه الزنادقة لانتشار الزندقة، هو الكذب على رسول الله ﷺ، لإثارة الشبه والطعون رغبة منهم فى تنفير الناس منه والتحلل من أحكامه حتى تضعف قوة المسلمين، فيتمكن هؤلاء من فرض سلطانهم.

وقد نشروا كثيراً من المذاهب الضالة، وتقنعوا بأثواب نحل مختلفة يستهدفون استدراج الناس، واجتذابهم من دينهم، كما شقوا طريق الوضع فى الحديث، متسترين بأسماء مختلفة، فوضعوا أحاديث فى العقائد، وأخرى فى الأخلاق، وغيرها فى الحلال والحرام.

وقد تعقب الخلفاء العباسيون الزنادقة، فشنقوهم وقاوموا تلك الحركة الخبيثة، كما لم يخف على رجال الحديث فسادهم فشمر الجهابذة والنقاد عن ساعد الجد وتتبعوا هؤلاء الكذابين والوضاعين، وهكذا: كانت يقظة الأمة الإسلامية فى حرصها على حراسة الدين، وحمايته من كل دخيل.

٤ - القصاصون:

وجد كثير من أدعياء العلم والمرتزقة الذين لا يهمهم إلا التفاف العامة حولهم، فيثيرون مشاعر الناس وعواطفهم بالقصص، ويستدرون ما عندهم، فوضعوا الأحاديث فى قصصهم رغبة منهم فى أستمالة قلوب العامة إليهم، وأكثر هؤلاء القصاص من الجهال، الذين تشبهوا بأهل العلم، فأفسدوا كثيرا من عقول العامة بما كانوا ينشرونه بين الناس حين يقومون بمهمة الوعظ وليس يهمهم إلا أن يستدروا المال، وبكاء العيون، وإعجاب الناس بهم، وفى سبيل ذلك وضعوا الأكاذيب على رسول الله ﷺ.

٥ - الخلافات الفقهية والكلامية:

اتجه أصحاب المذاهب الفقهية، والكلامية إلى تأييد مذاهبهم بأحاديث مكذوبة، وضعوها تأييدا لهم، ومن ذلك. ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: أن قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعاً: «من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له» (١) وحديث: (كل ما فى السموات والأرض وما بينهم فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ، وإليه يعود، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون قد سبقته بالقول) (٢).

ويظهر فى هذا القول: ركاكة اللفظ، كما يكشف اتجاه مرماه عن الوضع فى وضوح

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨ والباعث الحثيث.

(٢) اللآلىء المصنوعة جـ ١ ص ٣.

٦ - الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير :

قام بعض الجهلة بالدين - الذين كانوا على جانب من الصلاح والورع والزهد - بوضع أحاديث فى الترغيب والترهيب، حينما ساءهم وجود بعض الناس المتكالبين على الدنيا، والذين تركوا آخرتهم، فوضعوا بعض الأحاديث التى ترغبهم فى الآخرة، وتخوفهم من عذاب الله. ومن هؤلاء غلام خليل، وهو: أحمد بن محمد بن غالب الباهلى، كان معروفاً بالزهد، وتوفى فى رجب سنة ٣٧٥ هـ[١] قال عبد الله النهاوندى: ما هذه الرقائق التى تحدث بها؟ قال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة.

وهؤلاء هم أشد الوضاعين ضرراً، وأفدح خطراً، لأن أحاديثهم المختلفة كانت تجد قبولا عند بعض الناس، لما كانوا عليه من الزهد والصلاح، ولهذا: قال يحيى القطان: «ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير».

كما رأى البعض منهم: انشغال الناس بالفقه، فخاف أن يعرضوا عن القرآن، فوضع أحاديث فى فضائل سور القرآن وقد قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة.

وروى ابن حيان فى الضعفاء عن ابن مهدى قال: قلت لميسرة ابن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟. قال: وضعتها أرغب الناس فيها[٢].

وكان هؤلاء الوضاعون إذا قيل لهم فى ذلك قالوا: نحن ما كذبنا عليه أى على الرسول ﷺ، وإنما كذبنا له. وهذا من تمام جهلهم الفاضح، وفجورهم وافترائهم فإنه عليه السلام لا يحتاج فى كمال شريعته إلى غيره[٣].

---

(١) ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٦٧.

(٢) تدريب الراوى ص ١٨٤.

(٣) الباعث الحثيث ص ٧٩.

مقاومة الوضع

قيض الله سبحانه لسنة نبيه ﷺ رجالا أمناء، صدقوا فى إخلاصهم لله ولرسوله، ونصبوا أنفسهم للذب عن السنة الشريفة، فأفنوا أعمارهم فى التمييز بين الصحيح والباطل صيانة للسنة النبوية الشريفة، وحفاظاً على الإسلام من الدس والتحريف.

وفى سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع: بذل علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جهوداً مخلصة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل، وكان من ثمرة أعمالهم: (علم مصطلح الحديث)، وهو: يشتمل على أدق الطرق العلمية فى التحقيق التاريخى، وأقومها فى التمحيص والنقد، وكانت القواعد التى اتبعوها فى جهودهم تتسم بالآتى:

١ - التزام إسناد الحديث

ظل الصحابة والتابعون بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى منعمين فى جو من الصدق، آمنين على تراث نبيهم، حيث كانت صدورهم الأمينة تفيض بالثقة والإخلاص، وقلوبهم الواعية تنبض بالإيمان والصدق، فكان البعض يسند الحديث مرة ولا يسنده أخرى، إلى أن حدثت الفتنة، وظهرت الأحزاب والفرق، وأخذ الكذب على رسول الله ﷺ يزداد شيئا فشيئا فانبرى الصحابة والتابعون يمحصون الأحاديث سندا ومتنا ويشددون فى معرفة الرواة والطرق، ويلتزمون الإسناد دائماً.

وكان ابتداء مرحلة التحرى والتزام الإسناد منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة [١] فمنذ ذلك الحين وهم يتشددون فى التزام الإسناد دائماً، عن ابن سيرين قال: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم [٢] فقد كانوا يتسارعون إلى أخذ الحديث

(١) السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٠٧.

(٢) مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص ٧١ جـ ١ الشعب.

وسماعه، فلما وقعت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول، لم يأخذوا من الأحاديث إلا ما يعرفون والتزموا التثبت والإسناد.

٢ - التثبت من الأحاديث

كان من فضل الله وعنايته بالسنة النبوية أن بارك فى أعمار عدد من الصحابة والفقهاء، يرجع الناس إليهم ويلجأون لهم حين يقع الاختلاف ليستوثقوا من الأحاديث. وقد كثرت الرحلات العلمية لبعض الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم من علماء الحديث من أجل التثبت. يقول سعيد بن المسيب: «إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد»(١).

وفى سبيل التثبت: كانوا يتذاكرون الأحاديث فيما بينهم، لمعرفة ما يأخذون منها، وترك ما ينكرونه، كما كانوا على جانب كبير من الوعى والحيطة، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، خشية أن تختلط عليهم، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغيره بدقة فائقة، وحيطة بالغة، روى أبو بكر بن الأشرم: «أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فإذا أطلع عليه إنسان كتمه، فقال له أحمد بن حنبل: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل: إنك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبد الله، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرازق عن معمر على الوجه، فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة، حتى لا يجىء بعده إنسان فيجعل بدل أبان ثابتا، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك، فأقول له: كذب، إنما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت(٢).

ومن أجل التثبت كذلك: ناهض العلماء الكذابين، ومنعوهم من التحديث، واشتدوا عليهم، لدرجة أنهم كانوا يضربونهم أحيانا، ويهددونهم

---

(١) جامع بيان العلم جـ ١ ص ٩٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٠٧.

بالقتل أحيانا أخرى، عن حمزة الزيات قال: «سمع مرة الهمدانى من الحارث الأعور شيئا، فقال له: أقعد بالباب، قال: فدخل مرة وأخذ سيفه، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب»(١).

٣ - نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان أحوالهم من صدق أو كذب:

وقد وصلوا عن طريق هذه الدراسة إلى تمييز الصحيح من المكذوب وكانت لديهم قواعد اتبعوها وساروا عليها فى الأخذ عن الرواة أو عدم الأخذ منهم فحصروا المتروكين الذين يكذبون على الرسول ﷺ، وأصحاب البدع والأهواء والزنادقة، والذين لا يفهمون ما يحدثون، ومن لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد عين أئمة النقاد أياما ليتكلموا فى الرجال، وكانوا يسألون عن الرواة لمعرفة أحوالهم، والتمكن من صدقهم أو كذبهم، فكانوا ينقدونهم نقداً صحيحاً دقيقاً. عن يحيى بن سعيد قال: «سألت سفيان الثورى وشعبه ومالكا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً فى الحديث، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه، قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت»(٢).

وكانوا فى حكمهم لا يخافون فى الحق لومة لائم ولا تأخذهم عاطفة، حتى ولو كان أخاه. يقول زيد بن أبى أنيسة: «لا تأخذوا عن أخى»(٣). ولم يحاب أحد من أهل الحديث أباه ولا أخاه، وهذا على بن المدينى المتوفى سنة ٢٣٤ هـ، وهو إمام الحديث فى عصره، لا يروى عنه حرف فى تقوية أبيه، بل يروى عنه ضد ذلك»(٤).

وهكذا: أخلصوا عملهم لله، وخدموا الشريعة السمحة بدفع ما يشوبها،

---

(١) مسلم شرح النووى جـ ١ ص ٩٩. (٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٩٢.
(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ١٢١.
(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٨٥ مخطوط بدار الكتب المصرية.

وتخليص الغث من الثمين، وبهذا تكوّن (علم الجرح والتعديل) الذى وضع قواعده كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم.

وكان الضعفاء فى القرن الثانى أكثر منهم فى القرن الأول، وقد تناول الحديث فى العدالة والتجريح كثير من الأئمة وبينوا من تقبل روايته ومن لا تقبل روايته.

وتكامل علم الجرح والتعديل من العهد النبوى إلى عهد التدوين، وألفت المصنفات الكبيرة فى الرواة، وألفت كتب خاصة بالضعفاء، فصار من السهل التمييز بين المحق والمبطل، على أساس من القواعد الدقيقة، حتى أكتمل هذا العلم فى القرن الثالث الهجرى على أيدى الأئمة الأعلام، الذين أخذوا على عاتقهم حفظ السنة الشريفة، والذود عن حياضها فألفوا الكتب الكثيرة فى الجرح والتعديل.

* * *

obeikandl.com

وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييز الصحيح من غيره

لم يكتف العلماء فى التزام الإسناد والتثبت من الأحاديث بالرحلة، ومراجعة الأحاديث، ودراسة الأسانيد والطرق، وإنما ضموا مع هذا تقسيم الحديث إلى درجات:

صحيح، وحسن وضعيف، وذلك لمعرفة القوى من الضعيف وما يقبل وما يرد، ولم يعرف الحسن فى القرن الثانى الهجرى، وإنما عرف فيما بعد[1]. وكتاب أبى عيسى الترمذى أصل فى معرفة الحسن قال ابن الصلاح: وإن وجد فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله (أحمد والبخارى وغيرهما).

وقد وضع العلماء قواعد يعرفون بها الحديث الموضوع وبينوا العلامات الدالة على وضعه، منها: ما هو فى السند، ومنها ما هو فى المتن. أما العلامات الدالة على الوضع فى السند فأهمها:

١ – أن يكون راوى الحديث معروفاً بالكذب ويتفرد برواية الحديث ولا يرويه ثقة غيره.

٢ – إقرار واضع الحديث بوضعه، كما أقر ميسرة بن عبد ربه الفارسى أنه وضع أحاديث فى فضائل القرآن[2].

٣ – ما يقوم مقام الاعتراف بالوضع بأن يكون هناك قرينة مانعة من صحة الحديث: كأن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقاؤه به، أو ولد بعد وفاته، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه، وهذا يعرف عن طريق دراسة تاريخ مولد الرواة، وإقامتهم ورحلاتهم ووفاتهم.

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى.

(٢) الباعث الحثيث ص ٨١.

كما قسموا الرواة إلى طبقات، وعرفوا عنهم كل صغيرة وكبيرة، وبهذا تَكَوَّنَ (علم الطبقات) الذى لا يستغنى عنه رجال الحديث ونُقَّاده.. يقول سفيان الثورى: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

٤ – معرفة حال الراوى وبواعثه النفسية مثل: ما وقع من سعد بن ظريف حين جاء ابنه من الكتاب يبكى، فقال: مالك؟ قال: ضربنى المعلم، قال: لأخزينهم اليوم، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً: «معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين».

ولم تصل أمة من الأمم إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية فى التحقيق والضبط، فقد عنى رجال الحديث بالسنة عناية لم يجد معها أهل الأهواء ثغرة ينفذون منها إلى نقض قواعدهم العلمية، ولذا كان نقد بعض المستشرقين والمغرضين وأمثالهم يتجه إلى المتن زعما منهم أن المتن لم يلق من رجال الحديث ما لقيه السند من العناية.

* * *

علامات الوضع فى المتن

بذل علماء السنة جهوداً مشكورة، وعناية فائقة بالمتن، ولئن كانت الجهود التى بذلت فى العناية بالسند أكثر من المتن، فليس هذا تقصيراً منهم لحال المتن، وإنما يرجع ذلك إلى كثرة أحوال السند وتعددها، مما كان سبباً فيما يتعلق به من علوم وبحوث كثيرة، على أنه قام علماء السنة ببحث ودراسة الصفات التى يجب توافرها فى صحة المتن، وبيان العلامات الدالة على وضعه وهذه أهمها:

ركاكة المعنى واللفظ، وتعرف بكثرة الممارسة لألفاظ الحديث النبوى، فتحصل هيئة نفسانية، وملكة يعرف بها اللفظ النبوى من غيره.

قال الحافظ ابن حجر: «المدار فى الركة على ركة المعنى فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركاكة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة. أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغير ألفاظه بغير فصيح.

نعم إن صرح بأنه من لفظ النبى ﷺ فيكون حينئذ كاذبا.

وقال الربيع بن خيثم: «إن للحديث ضوءا كضوء النهار نعرفه، وظلمة كظلمة الليل ننكره»[1].

فساد المعنى بأن يخالف الحديث بدهيات العقول أو القواعد العامة فى الأخلاق والآداب أو يخالف الحس أو قواعد الطب أو ما يوجبه العقل من تنزيه الله سبحانه وتعالى:

أو يخالف قطعيات التاريخ، أو سنة الله فى الكون والإنسان أو يشتمل على سخافات يبعد عنها كل عاقل.

---

(١) الباعث الحثيث ص ٨٢.

يقول ابن الجوزى: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع[١].

مخالفته للقرآن الكريم أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعى، أما المعارضة مع إمكان الجمع فلا[٢].

قال ابن القيم: ومن الأمور التى يعرف بها أن الحديث موضوع مخالفته صريح الكتاب، كحديث مقدار مدة الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة لمخالفته قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي** ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن ذلك أيضاً: مخالفته صريح السنة المسلم بها لشهرتها أو لتواترها مثل: «إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به سواء حدثت به أو لم أحدث» فإن هذا مخالف للحديث المتواتر: «من كذب على معتمدا فليتبوأ مقعده من النار».

ومثل: «من قضى صلوات الفرائض فى آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته فى عمره إلى سبعين سنة».

فإن هذا مخالف لما أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شىء من العبادات[٣].

مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها ومثاله:

ما رواه الإمام مسلم بسنده قال المعلّى بن عُرْفان حدثنا أبو وائل قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين فقال أبو نعيم: أتراه بعث بعد الموت[٤]؟، لأن ابن مسعود توفى قبل صفين.

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٠.
(٢) الباعث الحثيث ٨٣.
(٣) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى والسياسى ص ١١٧.
(٤) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١ ص ١٠٠ ط الشعب والكذب من المعلّى بن عُرفان المعروف بضعفه والذى قال: حدثنا أبو وائل.

صدور الحديث من راو تأييدا لمذهبه كالأحاديث الصادرة من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية المغالين فى تعصبهم مثل: «من لا يرفع يديه فى الصلاة فلا صلاة له» أو يروى رافض حديثاً، فى فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثاً فى الإرجاء[١].

أن يشتمل على إفراط فى الثواب العظيم على العمل الصغير أو اشتماله على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير كالأحاديث التى وضعها القصاص فى ثواب بعض الأعمال، وجزاء بعض الجرائم مثل: «من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبياً» ومثل: «من قال لا إله إلا الله خلق الله له طائراً له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له»[٢].

أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد، بهذا حكم أهل السنة بالوضع على الحديث المتضمن النص على خلافة على ووصايته..

ما يصرح بتكذيب جمع المتواتر[٣].

وإضافة إلى هذه الأسس الرصينة والقواعد المحكمة: نقد العلماء المتن من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو إعلاله، كما بحثوا فيما فيه من قلب أو غلط أو إدراج، إلى غير ذلك من العلل التى عنى العلماء ببيانها وشرحها: فيما وضع فى ذلك من الكتب[٤].

كما كان للذوق المؤمن مجاله فى النقد، فإذا استساغت الملكات السليمة المؤمنة حديثاً قبلوه، وإذا لم تستسغه ردوه وكان هذا الذوق متفقاً مع قوانين الرواية كذلك، يقول الربيع بن خيثم: «إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها»[٥]

---

(١) السنة ومكانتها ص ١١٧.
(٢) الموضوعات.
(٣) المنهج الحديث فى علم الحديث للأستاذ: محمد محمد السماحى ص ١٨٧.
(٤) المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦م ص ٤٩.
(٥) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٣٦.

ويقول ابن الجوزى «الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه فى الغالب».

وهكذا: وضع علماء الحديث القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع، ووجهوا جهودهم إلى نقد السند والمتن على السواء.

هذا وقد بدأت حركة النقد منذ وقوع الفتنة، وظلت حتى كان عصر التدوين، ودون العلماء الحديث دون تمييز بين الصحيح وغيره، وإنما تركوا ذلك لأهل الخبرة من العلماء، لهذا: تحرى الإمام: مالك رضى الله عنه فى كتاب (الموطأ) جمع الحديث المقبول، حتى شهد له الكثيرون بالصحة والقبول، وعندما كتب الإمام الشافعى رضى الله عنه (كتاب الرسالة) تعرض لشىء من علوم الحديث، كما كتب أيضاً شيئاً من ذلك فى كتاب (الأم).

وقام العلماء كذلك بنقد الحديث - سنداً ومتناً - خلال تأليفهم، كما فى كتب الترمذى، وبعضهم خصص مقدمة فى هذا العلم تتعلق بالكتاب الذى يؤلفه. كما صنع الإمام مسلم فى مقدمة كتابه، أو خاتمة توضح المصطلحات التى أرادوها: كما صنع الإمام الترمذى فى آخر جامعه.

وعنى البعض بالرواة فألف البخارى فى الصحابة كتبه فى التواريخ الثلاثة: «الكبير والأوسط والصغير»، وعنى فيها بنقد المرويات من حيث السند والمتن، وألف غيره فى تواريخ الرواة صحابة أو غيرهم: كالإمام محمد بن سعد كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠هـ، ألف كتاب الطبقات. كما أن بعضهم ألف فى الثقات: كأبى حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ، ألف كتاب الطبقات، كما أنه خصصت تآليف فى الضعفاء والعلل، ككتاب الضعفاء للبخارى صاحب الصحيح.

وهكذا: رأى العلماء: أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة لأهل الحديث، وقواعد كثيرة لهم، يعرف بها المقبول والمردود، ففكروا فى

تخليصها من هذه الكتب، وجمعها فى علم خاص، وتدوينها فى كتاب مستقل. وكان ذلك فى القرن الرابع وكان أول من ألف فيه الرامهرمزى[1].

ومن النتائج الجليلة القدر التى عادت على الإسلام والمسلمين من هذه الجهود الضخمة الموفقة: أن تم تدوين السنة بعد أن سار أشواطه المباركة وانتهى الأمر بالتدوين التام، والتصنيف الكامل، فى القرن الثالث الهجرى، الذى كان أسعد عصور السنة الشريفة بظهور أئمة الحديث، وقيامهم بتلك التآليف الخالدة، وتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها.

* * *

(١) المنهج الحديث الأستاذ محمد السماحى ص ٢٠.

obeikandl.com